

الخميس 10-04-2008

223-قراءة في أحلام فتنة النقاش

(حلم 47) ، (حلم 48)

حلم 47

في الطريق لعب أمامي مجموعة من الصبية فشعرت أنهم يضمرون لي السوء. وعجبت لأنه لم يحصل بيني وبينهم ما يدعو إلى ذلك، وسرت في حذر وأنا أتذكر بدهشة حالي عندما كنت في سنهم.

ووجدت أمامي محلا كبيرا يعد ليكون محلا لبيع الحلوى كما فهمت من لافتته الكبيرة، وكان العمل على أشده في إعداده فاقتربت منهم وسألتهم 'هل ستقدمون ضمن الحلوى بقلابة وكنافة' وكف العمال عن العمل واتجهوا بأنظارهم نحوي وعلى حين فهقه الصبية وصفروا. وجاء من أقصى المحل رجل بدا أنه صاحبه وسأل 'هل حقا مازال يوجد أناس يجوبون البقلابة والكنافة؟' وسرت بين العمال مهمة وراح الصبية يرقصون ويصفرون ويكورون قبضات أيديهم في وجهي

القراءة

هل هو إعلان بموت الطفولة الحقيقية داخلنا وخارجنا؟ وأن تمّ تخطيطا يجري إعداده لطفولة أخرى، لها صفات أخرى وقوانين أخرى؟

لاحظت ملامح هذه الطفولة الجديدة ساخرة قاسية،

محل الحلوى الذي لوّح بنوع آخر من الحلوى ليس جاهزا بعد، ولا هو أوحى بما بين لنا أي حلوى سينتج أصلاً، لكن الراوي لا يعرف إلا طفولته "وأنا أتذكر بدهشة حالي عندما كنت في سنهم"،

من الذي يحق له أن يستغرب في هذا الموقف؟

العمال استغربوا لسؤاله حتى توقفوا عن العمل،

وبرغم سخريه الصبية منه منذ البداية حتى توجس شراء، إلا أنه مضى يتساءل عما يسأل عنه طفلاً منذ كان طفلاً،

بديهي أن نسأل عن بعض أنواع الحلوى في محل يعد لبيع

الخلوى، وهل سوف يكون ضمن ما يبيع للأطفال خاصة، البقلاوة والكنافة، لكن بعد أن تغير الحال بدا أن الراوى حين سأل سؤاله هذا البسيط الساذج قد خرج عن المألوف، هو قد أعلن بسؤاله هذا عن مدى بعده عما آل إليه الحال.

إن لم تكن البقلاوة والكنافة ضمن الخلوى التى يحبها الأطفال فما هو نوع الخلوى الذى يمكن أن يقدمها محل يعد لبيع الخلوى، لهذه الكائنات الجديدة الساخرة المتوعدة؟

كيف يسأل هذا الأبله عن "حلاوة" فى عالم لم يعد به حلاوة؟

بدلا من أن تكون الدهشه مما آل إليه الحال، ومن غموض الموقف، بدت أصلاً على صاحب المحل الذى راح يتساءل - متعجبا - عن أناس مازالوا يحبون البقلاوة والكنافة:

ماذا يمكن أن يحبه الناس الأطفال، أو أطفال الناس، إن كان عليهم أن يكفوا عن حب البقلاوة والكنافة،

هل يكتفون بالسخرية والقهقهة والتصغير وإضمار السوء للناس الطيبين الذين لم يبلغهم خبر ما آل إليه الحال؟

محات الخلوى بلا حلوى! والعمال مغتربون إلا عن مواصلة الاغتراب!! ما هذا؟

غريب هو إذن!

هو يتلقائيته وبساطته بدا غريبا وهو مازال يتصور أنه يمكنه أن يحافظ على طفولته الحقيقية.

يبدأ الحلم وهو يستشعر أن الصبية يضررون له السوء، وينتهى وهم يرقصون ويكورون قبضات أيديهم فى وجهه،

ما هى تهمته بالضبط؟

أنه احتفظ بطفولته؟

أنه لم يعلم بما آل إليه الحال؟

أنه مازال يأمل ويرجو؟

حلم 48

أقبلت فوجدت فى الحجره الخرافيش، وسألت عن الغائب الوحيد فقالوا إنهم أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش فى طلب فرقة البالية الجديدة ولا أدرى كيف فسد الجو بينى وبينهم وتجهمت وجوههم جميعا، وهمت بمغادرة المكان، ولكن فرقة البالية وصلت وفى الحال عزفت الموسيقى ودار الرقص وخفت التوتر بيننا، واندجنا فى الرقص والنغم، بل وصفت القلوب واهالت علينا النشوات وغمرنا الحب والمودة.

وإذا بنا ننضم إلى فريق الراقصين والراقصات ونشارك في
الأناشيد والأغاني وتعاهدنا دون كلام على أن نُورخ تلك
الليلة.

القرأءة

هاهم الخرافيش يظهرون، وبالاسم، مرة أخرى

حين التحقت بالخرافيش احتياطيا في الوقت بدل الضائع، كنت
ألاحظ تكرار الحديث عن ذلك الغائب من الخرافيش التاريخيين
الحقيقيين بشكل متواتر، حتى بعض الخرافيش المتبقين كانوا يحضرون
كالغائبين، اقتصر الخرافيش الذين لحقت بهم بعد انتهاء "الزمن
الأصلي" على توفيق صالح وشخصي وشيخنا لبضعة سنوات، كان أحمد
مظهر يحضر بالكاد، وبمحاولات متكررة مئى، مئى، ومحايلات متنوعة،
في حين كان جميل شفيق يحضر كالضيف أحيانا حين يجد الوقت، أما
بهجت عثمان فقد كان حضوره مفاجأة لا يمكن الاعتماد على
تواترها، الغائب الحاضر طول الوقت جدا كان محمد عفيفى "وأنا
لم أره في حياتى برغم فضل كتابته علىّ في مطلع شبائى"، أما
عادل كامل، فقد جعلوا يحكون عنه أمامى بحب وشوق، حتى
أحضرتة الذاكرة إلينا من أمريكا ذات يوم لمدة اسبوعين،
وفوجئت أنه هو هو الذى صوره لى الخرافيش القدامى من فرط دقة
وصدق الحكى عنه ومدى حبهم له.

قلت أكثر من مرة - في مواقع أخرى- أن الخرافيش الحقيقيين
(وأنا لست منهم) لن يعرف عنهم التاريخ شيئا حقيقيا، ليس
لأن هناك ما ينبغي أن يخفى أو لا يصح التصريح به (أو لعل
بعض الأمر كذلك)، ولكن لأن ما سمعته عنهم من بعضهم، هو غير
قابل للتسجيل أصلا، فأضافت هذه الحقيقة إلى حذرى من تصديق
التاريخ عموما، وهو ما يدعم شكى مهما بلغت دقة النقل
وشرف الأمانة وحسن النية.

بدأ هذا الحلم وثمَّ حرفوشُ غائب، الراوى هو الذى افتقده
دونهم، ومع أنهم أرسلوا لسيد درويش، فلم يكن هذا يعنى أنه
الخرافوش الغائب، فهم قد أرسلوا إليه في طلب فرقة الباليه،
لم يكن سيد درويش من الخرافيش طبعاً، لماذا يظهر سيد درويش
وكأنه متعهد فرقة الباليه الجديدة؟ ولماذا يكون رد الفعل
لسؤال الراوى هكذا؟،

رسالتهم هذه إلى سيد درويش، كانت سببا في فساد الجو
بينه وبينهم.

الاختلاف وارد في ثلثة الخرافيش الحقيقيين - على قدر ما
بلغنى وعاشتُ- وإلا فهم ليسوا خرافيش ولا بشر ولا أصدقاء،
صحبة بدون خلاف ليست هى.

الخلاف هنا له احتمالات عدة: اختلاف في انفراد أحدهم
برأى يخالف كل الآخرين، وهذا وارد، والتفاعل له بالنفى
وارد أيضا، وهو ليس أسوأ من الموافقة المجاملة،

الاختلاف حول إدخال حرفوش جديد ليس بحرفوش وارد أيضا،

أذكر حين دعاني شيخى لأول مرة في أوائل سنة 1995 للانضمام إليه هو وتوفيق صالح، (جماعة الخرافيش لا تصلح بأقل من ثلاثة) أن أبلغني حصوله على موافقة توفيق لانضمامي، لكنني اعتذرت لأسباب حين أتأكد من الموافقة النهائية، وذلك تحسبا واحتراما لطقوس الدخول إلى هذه الصفوة الخاصة جدا، التي لا أعرف عنها شيئا، وحين صرت عضوا فيما تبقى من وقت المباراة عرفت بالممارسة الطقوس والشروط الواجب احترامها طول الوقت (اهتزت هذه الطقوس كثيرا ومرارا في السنوات الأخيرة بعد أن أصبحت الخرافيش ليست خرافيشا - تقريبا)

المهم أين يقع سيد درويش من كل هذا؟ وما حكاية فرقة الباليه الجديدة؟

ثم كيف خف التوتر وصفت القلوب بينهم بعد أن عزفت الموسيقى واندمجوا هم أيضا في الرقص والنغم حتى انهالت عليهم النشوات وغمرهم الحب وسادت المودة؟

ثم لماذا الباليه الجديد (أو الفرقة الجديدة)، وليس الباليه فقط؟

التوفيق (بل الجدال) بين ما يمثله سيد درويش، وما يمثله فن الباليه الذي ليس له علاقة مباشرة بسيد درويش هو وارد، بل لعله هو الذي غاب عن كثير من الخرافيش (ليس بالضرورة هؤلاء الخرافيش)

رفض الجديد والحذر منه وارد أيضا وتما من الأغلبية، ومن يجرؤ أن يقترح غير ذلك فعليه أن يتحمل ما يقابل به من رفض وتوجس، لكن حين يثبت بالتجربة والممارسة أن الجديد هو إضافة أصيلة، وأنه لا يكون إبداعا فائقا إلا إن كان ناتج جدل خلاق مع قديم أصيل، حين يثبت ذلك نتيقن أن استيعابنا للحر القديم هو الطريق إلى تواصل الإبداع والنمو باضطراد.

لاحظ التعبير "أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش في طلب فرقة الباليه الجديدة" فهو لم يقل سيد درويش دون صفة الموسيقار مما يؤكد استيعاده من أنه أحد الخرافيش، فهم لا يسمون بعضهم بألقابهم أو مهنتهم أبدا (تقريبا)، ولا حتى لفظ الموسيقار هنا يؤكد أن سيد درويش يُستدعى بصفته موسيقارا، وبإلتي الأمر كان كذلك فحسب، لكنه استدعى بصفته موسيقارا مهمته أن يستدعى فرقة الباليه، وهي ليست أية فرقة، لكنها فرقة الباليه الجديدة، لفظ "الجديدة" هنا - كما أشرت، هو أيضا وصلني بدلالة خاصة.

إن الحرفوش (الراوي) الذي لاحظ ما ينقص هذه النُلة التي تكاد تنغلق اكتفاءً بذاتها وتقليديتها وذكرياتها، هو الذي أعلن غياب أحدهم، شخص ما، (أو شيء ما). إنهم حين اقترحوا أن سيد درويش وهو موسيقار قديم رائع هو الذي يستدعى الفرقة الجديدة التي قد تقدم إبداعا آخر كانوا كمن يختبر

احتمال تعويض ما ينقصهم، شريطة ألا يكون على حساب القديم، ولا مانع أن يرقصوا مع فرقة الباليه الجديدة على أنغام ما تطوّر من سيد درويش.

المرّة الوحيدة التي شاهدت فيها ما يسمى "الباليه الحديث" كانت في باريس، سنة 1969، وقد فزعت منه مثل أي مبتدئ يقرأ قصيدة نثر لأول مرة، هو شيء آخر غير الباليه التقليدي الذي تتدرب عليه - حتى الآن - حفيداتي، اندماج الخرافيش مع الراقصين في هذا الباليه الجديد، له دلالاته لمن يستلهم معنى لفظ "الجديد" هنا.

حين يتم مثل هذا التآلف "معاً" وتصحح الانغام وتتحرك الأجساد راقصة ليضم الجديد القديم، ثم يشترك المشاهدون مع الفرقة فالسماح، تكون النتيجة الطبيعية أن يصبحوا جزءاً متناعماً في لحن حركية الوجود معاً، ومن ثم: تنهال عليهم النشوات ويغمهم الحب وتفيض بهم المودة،

لم يتم ذلك بهذا الجمال "معاً" إلا بعد أن وصلت إلى مستوى ما من وعيهم دلالة كل ذلك بعمقه الممتد إلى كل المجالات حتى جعلوا هذه الليلة علامة يؤرخ بها (وكأنها بداية أخرى للتاريخ...!!)

وتعاهدنا دون كلام على أن نؤرخ تلك الليلة.

لماذا دون كلام؟

لأن ما حدث هكذا بكل دلالاته هو أقوى وأطول عمراً وأقدر على اختبارات الزمن، من الكلمات والتسجيل.

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site